الدرع الصاروخي الأمريكي
وتأثيره على العلاقات الأمريكية-الروسية

فارس تركي محمود

مدرس/ قسم السياسات العامة/ مركز الدراسات الاقليمية/ جامعة الموصل

dr.faristurki@uomosul.edu.iq

الاستلام: ٢٠١٩/٩/١٥ القبول: ٢٠١٩/١٢/١

مستخلص البحث

يتناول البحث إحدى أهم الاستراتيجيات التي اعتمدت عليها الولايات المتحدة الأمريكية لتأمين مصالحها ومواجهة التحديات والمخاطر التي تهددها، وهي استراتيجية الردع من خلال استخدام الدروع الصاروخية. ويسعى البحث إلى توضيح بدايات ظهور هذه الاستراتيجية ومن ثم تطورها وتناميها عبر الادارات المختلفة. كما يحاول دراسة وتحليل السياسة الخارجية لإدارة بوش الابن (٢٠٠١ – ٢٠٠٩) من حيث تركيزها على مشروع الدرع الصاروخي وسعيها من أجل تطويره وتوسيعه بالشكل الذي يتلاءم مع استراتيجية الهيمنة التي تبنتها، وما ترتب على ذلك من تأثير على العلاقات مع روسيا الاتحادية . وانتهى البحث بخاتمة تضمنت اهم الاستنتاجات.

الكلمات المفتاحية: الدرع الصاروخي الأمريكي؛ استراتيجية الدرع الصاروخي؛ العلاقات الأمريكية–الروسية.

Available online at https://regs.mosuljournals.com/, © 2020, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

The U.S. Missile Shield and its Influence on US-Russian Relations

Dr. Faris Turki Mahmood
Lecturer/Dep. of Public Polices/ Regional Studies Center
University of Mosul
dr.faristurki@uomosul.edu.iq

Received: 15/9/2019 **Accepted: 1/12/2019**

Abstract

The paper, entitled "The U.S.A Missile Shield and its influence on US-Russian Relations", explain one of the most important strategies that the United States has depend on to secure its interests and facing the challenges and threats it poses which is deterrence through the use of missile shields. The research seeks to clarify the beginnings of the emergence of this strategy and then its development and growth. It also attempts to study and analyze the Bush administration's foreign policy in terms of its focus on the missile shield project ; its quest to develop and expand it following the strategy of hegemony, and the impact on relations with Moscow.

Keywords: U.S. Missile Shield; Missile Shield Strategy; U.S.-Russian Relations.

Available online at https://regs.mosuljournals.com/, © 2020, Regional Studies Center, University of Mosul. This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

مقدمة

سعت السياسة الخارجية الأمريكية الى توظيف واستخدام مختلف الوسائل من أجل تحقيق الأهداف العليا للولايات المتحدة الأمريكية وحماية مصالحها الحيوية، وقد تنوعت هذه الوسائل فمنها الدبلوماسي والسياسي والاقتصادي والعسكري، وكان مشروع الدرع الصاروخي واحداً من أهم هذه الوسائل التي كان لها تأثير بارز على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وأثرت على العلاقات الخارجية لواشنطن، وهذا ما سوف يستعرضه ويناقشه هذا البحث.

فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن هناك تصور أمريكي بوجود خطر روسي على أوروبا الشرقية بخاصة ودول الاتحاد الأوروبي بعامة، ولمواجهة هذا الخطر تبنت بعض الإدارات الأمريكية لاسيما الجمهورية منها استراتيجية اقامة درع صاروخي في تلك المنطقة لمواجهة أية مخاطر روسية في المستقبل.

مشكلة البحث:

تنبع مشكلة البحث من حقيقة ان انتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي السابق لم تنه التحديات الاستراتيجية التي تمثلها روسيا الاتحادية وسياساتها تجاه المصالح الأمريكية لاسيما في اوروبا الشرقية تحديدا ولذلك رات الادارات الامريكية الجمهورية ان اهم استراتيجية يتوجب تبنيها للتصدي للمخاطر والتحديات الروسية هي اعتماد استراتيجية الدرع الصاروخي الامريكي في تلك المنطقة الامر الذي اثار حفيظة روسيا الاتحادية وأثر سلبا في العلاقات الامريكية-الروسية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يسلط الضوء بشكل مفصل على واحد من اهم المشاريع الدفاعية الاستراتيجية التي حاولت الولايات المتحدة تنفيذها في منطقة

أوروبا الشرقية القريبة من الحدود الروسية من الحفاظ على مصالحها ومصالح حلفائها في تلك المنطقة.

هيكلية البحث:

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول: بدايات ظهور المشاريع المتعلقة بالدرع الصاروخي، والجذور التي ينتمي اليها، وتطور الفكرة وتناميها خلال النصف الثاني من القرن العشرين وصولاً إلى إدارة جورج بوش الإبن. أما المبحث الثاني: فيسلط الضوء على السياسة الخارجية لإدارة جورج بوش الابن التي كانت تهدف إلى فرض الهيمنة الأميركية على المستوى العالمي، مستخدمة في ذلك السبيل مختلف الوسائل والأساليب وبخاصة الوسائل العسكرية، لذلك عكفت هذه الإدارة على مشروع الدرع الصاروخي وعمدت إلى تطويره وتوسيعه بشكلٍ غير مسبوق، إذ كانت تسعى إلى إقامة درعها الصاروخي أو جزء منه في بعض دول أوربا الشرقية بالقرب من الحدود الروسية. وفي المبحث الثالث: تم رصد ومتابعة ردود الفعل الروسية تجاه مشروع الدرع الصاروخي ومحاولة نشر أجزاء منه في عدد من دول أوربا الشرقية مثل بولندا والتشيك، وانعكاس ذلك على العلاقات الأمريكية_الروسية.

المبحث الاول: البدايات والجذور

كان انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ودخول العالم مرحلة القطبية الثنائية إيذاناً ببدء صفحة جديدة من صفحات الصراع متمثلة بالحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، والمعسكر الاشتراكي بقيادة الإتحاد السوفيتي من جهةٍ أخرى، وقد حرص الطرفان على امتلاك ومراكمة كل أسباب القوة المادية والمعنوية ووضع الخطط والاستراتيجيات من أجل الفوز بتلك الحرب، وقد ظهرت نتيجة لذلك الكثير من الأفكار والنظريات التي حاولت أن تحدد أفضل السبل المتاحة لإدارة الصراع. وقد تناولت الكثير من تلك النظريات والطروحات الأفكار المتعلقة بالردع والتدمير المتبادل، هذه الأفكار القائمة أساساً على استخدام الصواريخ الباليستية في ضرب وتدمير العدو من جهة، وتفادي الضربات الصاروخية التي قد يوجهها العدو من جهةٍ أخرى، كانت نقطة البداية لظهور فكرة الدروع الصاروخية المضادة للصواريخ.

ويمكن تعريف الدرع الصاروخي الأمريكي بأنه عبارة عن شبكة حماية مكونة من أنظمة صواريخ أرضية، مستندة إلى نقاط جغرافية عدة، قادرة على إسقاط أي صاروخ باليستي عابر للقارات يستهدف الأراضي الأمريكية. ويتألف هذا النظام من الآتي [١]:

أولاً: الدفاع السلبي (Passive Defense) وسمي بالدفاع السلبي لأن عمله يقتصر على كشف ورصد الصواريخ المعادية من خلال استخدام وسائل الإنذار المبكر المعتمدة على رادارات أرضية عملاقة وأقمار صناعية متطورة ومزودة بمستشعرات حرارية تعمل بالأشعة تحت الحمراء يمكنها رصد الصواريخ من الغازات الساخنة المنطلقة من محركاتها.

ثانياً: الدفاع الإيجابي أو الفعَّال (Active Defense) والمقصود به القدرة على اسقاط الصواريخ قبل بلوغ أهدافها، من خلال استخدام نظم فضائية وأرضية عالية الدقة لتتبع واعتراض الصواريخ المهاجمة وتدميرها في الجو.

ثالثاً: نظام للقيادة والسيطرة مهمته إدارة منظومة الدفاع الصاروخي فنياً وعسكرياً.

بمعنى أن طريقة عمل الدرع الصاروخي تتمثل في أنه يقوم على إنشاء محطة رادار أرضية تكون مربوطة بقمر صناعي موجود في الفضاء، وعندما ينطلق الصاروخ العابر من دولة معادية تجاه أي هدف أمريكي سواء كان في الولايات المتحدة الأمريكية أو في مختلف أنحاء العالم، فإن القمر الصناعي يرسل إشارة إلى المحطة الأرضية، وتقوم المحطة الأرضية بتنبيه محطة إطلاق الصواريخ المضادة فينطلق منها صاروخ بهدف تدمير الصاروخ العابر في الفضاء وقبل أن يصل إلى هدفه المفترض [٢] .

لقد ظهرت أولى المحاولات لتطبيق فكرة الدرع الصاروخي في بداية عقد الستينيات من القرن العشرين وذلك حينما قام الاتحاد السوفيتي بنشر عدد من وحدات القوات الصاروخية البالستية وعملوا على تعزيزها وتطويرها وتوسيع عملها طيلة فترة الستينيات. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد بدأت في عهد الرئيس ليندون جونسون (Lyndon B. Johnson) (١٩٦٣ – ١٩٦٩) بإنشاء نظام أو برنامج الحارس (Sentinel program) في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٧ للدفاع ضد الصواريخ الموجهة من الصين، وفي آذار / مارس عام ١٩٦٩ تم اعتماد برنامج جديد من قبل الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون (Richard M. Nixon) (١٩٦٩ – ١٩٧٤) كان يهدف إلى حماية الأراضي الأمريكية من أي اعتداء خارجي وبخاصة الصواريخ الموجهة من الاتحاد السوفيتي والصين، وقد أطلق على هذا البرنامج تسمية الحامي أو سيفجارد (Safeguard) وكان هذا البرنامج يعتمد على نوعين من الصواريخ الصاروخ (سبارتان) للاعتراض خارج الغلاف الجوي، والصاروخ (سبرنت) للاعتراض داخل الغلاف الجوي، وكلا النوعين مزوّد برؤوس نووية [٣] .

لم يستمر سباق التسلح الصاروخي طويلاً بين واشنطن وموسكو فبسبب التكلفة العالية والنفقات الباهظة لبرامج وأنظمة الدفاع والهجوم الصاروخية، وما يترتب عليها من إنهاك للأطراف المنخرطة فيها، جنح الطرفان إلى محاولات التهدئة وانخرطا في

Regional Studies Journal, Vol.14, No.45, 2020 (79-98)
Print ISSN: 1813-4610 *Online ISSN*: 2664-2948

محادثات ثنائية أسفرت عن توقيع اتفاقية سالت واحد ((Strategic Arms Limitation Talks (SALT 1) في ٢٦ أيار / مايو عام ١٩٧٢ والتي ألزمت الجانبين بإجراء تخفيضات كبيرة على الترسانة الصاروخية التي يمتلكانها، وفي عام ١٩٧٩ دخلت واشنطن وموسكو في محادثات من أجل عقد اتفاقية أخرى للحد من الأسلحة عرفت بـ (سالت اثنين) (SALT 2) إلا أن مجلس الشيوخ الأمريكي رفض المصادقة عليها بسبب الغزو السوفيتي لأفغانستان .

وبعد وصول إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان (Ronald Wilson Reagan) (١٩٨١ – ١٩٨٩) إلى سدة الحكم في واشنطن دخل سباق التسلح مستوىً جديداً من التصعيد، إذ أن إدارة ريغان المتشددة شجبت سياسة التهدئة التي اتبعتها الولايات المتحدة خلال عقد السبعينيات وأعربت عن اعتراضها على الاتفاقيات المعقودة بين الولايات المتحدة الأمريكية [٤]، وأعلن وزير الدفاع حينها كاسبر وينبرغر (Caspar Weinberger) بأن إستراتيجية إدارة ريغان تهدف إلى تحقيق " التفوق العسكري الكامل والذي لا جدال فيه، واستعادة الدور القيادي للولايات المتحدة في العالم ". وأضاف قائلا: " يجب علينا أن نكون جاهزين منذ اليوم للدخول في الحرب إذا دعت الحاجة لذلك . . . " وصرح في لقاء تلفزيوني بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتورع عن استخدام القوة المسلحة بما في ذلك السلاح النووي لحل المشاكل الدولية [٥].

طرحت إدارة ريغان مبادرة الدفاع الاستراتيجي في آذار / مارس عام ١٩٨٣ والتي عرفت بـ (حرب النجوم) وكانت تعتمد على أسلحة بالغة التعقيد وتتمتع بتقنية عالية تركَّب على الأقمار الصناعية وتستخدم أشعة الليزر لتدمير الصواريخ والرؤوس الحربية المعادية [٦]، فضلاً عن اعتمادها على أنظمة الدفاع التقليدية والمتمثلة بالأسلحة الأرضية المضادة للصواريخ. وقد كان هذا البرنامج الدفاعي واحدا من أقوى وأوسع برامج الدفاع الأمريكية ورصدت له ميزانية بحوالي (٢٦) مليار دولار، وقد أسهم بشكل كبير في رفع حدة التوتر والتصعيد بين الولايات المتحدة الأمريكية

والاتحاد السوفيتي ولم يتوقف هذا التصعيد إلا بعد وصول ميخائيل غورباتشوف (Mikhail Gorbachev) للحكم في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٥ الذي انتهج سياسة مغايرة تهدف إلى التهدئة والتقليل من التوتر بين الجانبين نتج عنها عقد قمة ثنائية بين غورباتشوف والرئيس الامريكي ريغان في كانون الاول / ديسمبر ١٩٨٧ وتم التوصل خلالها إلى معاهدة القوى النووية التي ألزمت الطرفين بتدمير كافة منظومات الصواريخ التي يتراوح مداها القصير ما بين (٥٠٠ – ١٠٠٠) كيلو متر، ومداها المتوسط (١٠٠٠ – ٥٥٠٠) كيلو متر وعدم تصنيع أي صواريخ جديدة [٧] .

استمر التحسن في العلاقات الأمريكية_السوفيتية خلال النصف الثاني من عقد الثمانينيات، وتراجع بالتالي الاهتمام بالمشاريع الاستراتيجية المتعلقة بالدفاع الصاروخي وبقي هذا الوضع حتى انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة عام ١٩٩١. وعلى الرغم من انتصار الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب الباردة وعلى الرغم من القضاء على خصمها الأيديولوجي إلا أن ذلك لا يعني تراجع الاهتمام الأمريكي بفكرة الدروع الصاروخية، إذ أن الأخطار والتهديدات الأمنية التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة جعلت صانع القرار الأمريكي يركِّز مرة أخرى على استراتيجيات الدفاع الصاروخي، لذلك سعت إدارة الرئيس بيل كلينتون (Bill Clinton) (١٩٩٣ – ٢٠٠١) في منتصف التسعينيات إلى إعادة إحياء برنامج الدفاع الاستراتيجي من أجل مواجهة التهديدات المحتملة من الدول التي أسمتها واشنطن بـ (الدول المارقة)• مثل إيران، والعراق، وكوريا الشمالية، أو من التنظيمات المسلحة والمتشددة المناهضة للسياسات الأمريكية .

Regional Studies Journal, Vol.14, No.45, 2020 (79-98)
Print ISSN: 1813-4610 *Online ISSN*: 2664-2948

المبحث الثاني: إدارة جورج بوش الابن

تعد إدارة جورج بوش الابن (George W. Bush) (٢٠٠١ – ٢٠٠٩) من أكثر الإدارات الأمريكية تشدداً، إذ أنها خضعت بشكلٍ شبه كامل لتيار المحافظين هذا التيار الذي وضع نصب عينيه هدفاً محدداً وهو فرض السيطرة الأمريكية المطلقة على العالم برمته ومنع ظهور أي منافس أو قوة أو كيان قد يشكِّل خطرا على مصالح الولايات المتحدة الأمريكية أو مكانتها وسطوتها العالمية، معتمداً في ذلك على عدد من الوسائل أهمها التصرف بشكل أحادي وتبني سياسة الضربة الاستباقية والاعتماد على القوة العسكرية بوصفها الوسيلة الأفضل لتحقيق أهداف وخطط واشنطن وحماية مصالحها الحيوية، لذلك كان من الطبيعي أن تولي هذا الإدارة اهتماماً كبيراً لقضايا التسلح ولبرامج الأنظمة والدروع الصاروخية لأهداف دفاعية وهجومية.

لقد كان لوقوع أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ وتعرض الولايات المتحدة الأمريكية للهجوم في عقر دارها أبلغ الأثر في تسريع خطط وإجراءات الإدارة الأمريكية المتعلقة بالدرع الصاروخي، ففي القمة الأمريكية_الروسية التي عقدت في تكساس في تشرين الثاني / نوفمبر عام ٢٠٠١ بذل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن آخر محاولة من أجل إقناع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين (Vladimir Putin) إذ عرض بوش تقديم مساعدات مالية لروسيا مقابل الانسحاب الأمريكي من المعاهدة، إلا أن الرئيس الروسي رفض هذا العرض. وبعد هذا اللقاء بين الرئيسين أبلغ بوش الكونجرس أنه قد آن الأوان للولايات المتحدة الأمريكية لتعمل بعيداً عن هذه المعاهدة [٨].

وبناءً على ما تقدم أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية في ١٣ كانون الأول / ديسمبر عام ٢٠٠١ انسحابها من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ الباليستية (ABM) لعام ١٩٧٢، وصرح حينها الرئيس بوش الابن قائلاً " لقد أبلغت روسيا

اليوم وبشكل رسمي انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من معاهدة الصواريخ المضادة للصواريخ البالستية، لقد استنتجت بأن هذه المعاهدة تعرقل قدرتنا على تطوير الوسائل الكفيلة بحماية شعبنا من هجمات صاروخية قد تشنها الجماعات الإرهابية أو الدول المارقة . . . كما أنه لم يعد بين الولايات المتحدة وروسيا عداء يبرر استمرار التمسك بالمعاهدة " وأضاف " بأن هذه المعاهدة تجسد الماضي، ونحن مطالبون بتجاوز إكراهات هذه المعاهدة القديمة منذ ثلاثين عاماً . . . أما اليوم فإن أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ أثبتت أن أكبر تهديد لدولتينا لا يأتي من بعضنا البعض أو من بعض القوى الكبرى في العالم، بل من الإرهابيين الذين يضربون على حين غرة، أو من الدول المارقة التي تسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل "، وأضاف بوش " لن أسمح أن تبقى الولايات المتحدة أسيرة معاهدة تمنعنا من تطوير دفاع جيد"، وعبر عن رغبته في أن لا يؤثر هذا القرار على العلاقات بين موسكو وواشنطن، وأشار إلى رغبته في إقامة علاقة استراتيجية مع روسيا [٩] .

وضعت إدارة بوش الابن نصب عينيها هدفاً محدداً يتمثل بتنفيذ برنامج الدرع الصاروخي والمتمثلة بنشر محطات الرادار والصواريخ الاعتراضية في عدد من دول أوربا الوسطى وبخاصة بولندا والتشيك، وهذه ليست إلا الخطوة الأولى إذ ضمن خطة طموحة تبنتها تلك الإدارة تقوم على الإسراع في بناء نظام متعدد للدفاع الصاروخي، يتألف من صواريخ اعتراضية منطلقة من البر ومن سفن بحرية أو قواعد بحرية، بالإضافة إلى أسلحة ليزر منطلقة من طائرات. وقد قامت وزارة الدفاع الأمريكية في أواخر ديسمبر الجاري بإلغاء الشق البحري من البرنامج بعد أن تبين أنه يتطلب تكلفة عالية، وسوف تكون قدرته على إصابة الأهداف المعادية منخفضة، ولكنها واصلت تطوير المنظومات الدفاعية التي تنطلق من البر والجو، وتسعى إدارة بوش إلى الانتهاء من تطوير هذا النظام، وفي هذا السياق فقد أجريت بالفعل أول تجربة للدفاع الصاروخي في ١٤ تموز / يوليو ٢٠٠١، إذ نجح الصاروخ الاعتراضي في

Regional Studies Journal, Vol.14, No.45, 2020 (79-98)
Print ISSN: 1813-4610 *Online ISSN*: 2664-2948

إسقاط صاروخ باليستي مهاجم فوق المحيط الهادي عقب ٢٠ دقيقة من إطلاقه، كما أجريت تجربة ناجحة جديدة في أوائل كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١ وهو ما قدم دعما قويا لخطط إدارة بوش الطموحة في مجال الدفاع الصاروخي [١٠] .

وفي شباط/ فبراير ٢٠٠٧ دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في مفاوضات مع التشيك وبولندا بخصوص الدرع الصاروخي، وفي ٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٨ وقعت واشنطن مع التشيك اتفاقية يتم بموجبها نشر الرادار التابع للمنظومة الأمريكية على الأراضي التشيكية. كما تم التوقيع في العشرين من شهر آب/ اغسطس ٢٠٠٨ على اتفاقية عسكرية تمهيدية بين واشنطن ووارسو والتي تسمح بنشر صواريخ الدرع الواقي الأمريكي على الأراضي البولندية، وبموجبها ستقوم الولايات المتحدة بنشر عشر بطاريات صواريخ تابعة لمنظومة الدرع الصاروخي وذلك في قاعدة (أوستا فيستكا) وهي قاعدة عسكرية بولندية سابقة على ساحل البلطيق. وذكرت واشنطن بأن هذه الدفاعات ستحمي جزءاً كبيراً من القارة الاوروبية وكذلك الولايات المتحدة من خطر الصواريخ بعيدة المدى التي قد يكون مصدرها من تصفهم واشنطن بالدول المارقة مثل إيران. وقد هددت موسكو على الفور بتوجيه صواريخها نحو القاعدة البولندية التي ستأوي الدفاعات الامريكية. وقال الكرملن أن الخطوة الامريكية البولندية المشتركة سوف تخل بالتوازنات الأمنية الإقليمية. ونتيجة للتهديدات الروسية فقد أعلنت الولايات المتحدة أنها ستساعد بولندا في حال تعرضت الى أي اعتداء من طرف ثالث، كما أعلنت أنها ستقوم بالمساعدة على تحديث القوات البولندية[١١] .

كانت الإدارة الأمريكية قد حددت عام ٢٠١٠ أربع مراحل لتنفيذ برنامج الدرع الصاروخي، ووفقاً لوكيل وزارة الدفاع الأمريكية للسياسات الدفاعية جيمس ميلر (James Miller) فإن هذه المراحل تتضمن:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التي سيتم فيها استكمال المتطلبات اللازمة للتصدي للصواريخ قصيرة المدى، مثل الصاروخ الإيراني " شهاب ٣ "، وكان من المفترض

أن تكتمل هذه المرحلة عام ٢٠١١، وقد خصص الكونجرس ميزانية تبلغ (٩،٩) مليار دولار لهذا الغرض.

المرحلة الثانية: تستمر حتى العام ٢٠١٥ وتهدف إلى توفير الحماية لمناطق جنوب أوربا، اعتماداً على الدفاعات المتواجدة في كل من رومانيا وبولندا وجمهورية التشيك.

المرحلة الثالثة: لقد وضع البنتاغون سقف زمني ينتهي بعام ٢٠١٨ لإكمال هذه المرحلة، وكان الهدف منها حماية مناطق أوربا كافة، بما في ذلك أقصى شمال القارة وغربها.

المرحلة الرابعة: من المفترض أن تكتمل في العام ٢٠٢٠ وتتضمن تحصينات وأنظمة دفاعية ضد الصواريخ البالستية بعيدة المدى (المحتمل إطلاقها من منطقة الشرق الأوسط)، فضلاً عن تطوير أنظمة الدفاع المدني في مختلف دول حلف الأطلسي مع تنسيق تام بينها في توزيع أعباء الدفاع على أساس موارد تلك الدول، وتحديد أولويات الاشتباك مع التهديدات المحتملة[١٢].

المبحث الثالث: الموقف الروسي

لقد كانت روسيا تدرك جيداً الهدف الاستراتيجي الذي كانت إدارة بوش الابن تسعى لتحقيقه، والمتمثل بفرض الهيمنة الأمريكية على العالم برمته وتعزيز وترسيخ حقيقة القطب الأوحد، والقضاء على أي منافس دولي، وقد نظرت روسيا إلى أي تحرك أمريكي وفسرته في ضوء هذا الإدراك، لذلك لم تقتنع بالحجج والمزاعم التي ساقتها واشنطن لتبرير نشر الدرع الصاروخي في بولندا والتشيك وعدته تهديداً مباشراً لها وبخاصة أنه جاء مواكباً لخطوات وإجراءات أمريكية أخرى مثل توسيع حلف شمالي الأطلسي وانضمام العديد من دول أوربا الشرقية له، وإلغاء الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة الأنظمة الدفاعية المضادة للصواريخ البالستية والتي كانت تعدها روسيا حجر الزاوية في العلاقات بين البلدين، إذ تؤمن الردع المتبادل بينهما كونها تعطي الفرصة لروسيا لتوجيه الضربة الثانية بنجاح إذا ما وجهت الولايات المتحدة الأمريكية ضدها الضربة الأولى، أما مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي فإنه في حال تنفيذه سيحرم روسيا من أية قدرة على توجيه الضربة الثانية. أي أن روسيا عدت هذا البرنامج يمثل تهديداً مباشراً للتوازن الاستراتيجي بين الطرفين [١٣].

عدت الولايات المتحدة الأمريكية الرؤية الروسية لدرعها الصاروخي رؤية غير واقعية، وقامت بشرح وجهة نظرها وبذلت جهودًا لإقناع حلفائها وتبديد هواجسهم حول الموضوع وبخاصة روسيا التي أكدت لها أن هذه الصواريخ لا يمكن أن تشكل خطرًا عليها، أو على قوة دفاعها الصاروخية البالستية. ويرى الأميركيون أنه استنادًا إلى إمكانات الصواريخ البالستية الدفاعية، ووفق المواقع الجغرافية، لا تملك منظومة الدفاع هذه في أوروبا الوسطى إمكانية التصدي للصواريخ البالستية الروسية بعيدة المدى، وبذلك فإن الاعتراض الروسي، والادعاء بالإخلال بالتوازن الاستراتيجي غير صحيح برأي الأميركيين. وعلى الرغم من الجهود الأمريكية إلا أن المفاوضات بين الطرفين حول مشروع الدرع الصاروخي لم تتوصل إلى حل يرضي الطرفين إذ حافظ

كل على موقفه ومقترحاته ورؤيته لإنجاز هذا المشروع. كذلك لم تفلح الجولات المتعدِّدة واللقاءات ما بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس الأميركي جورج دبليو بوش، في إقناع الطرف الروسي بالموافقة على المشروع الأميركي، ولا أفلحت مقترحات الطرف الروسي في تغيير الموقف الأميركي، ومنها اقتراح بناء الدرع الصاروخي على الأراضي الروسية لأنها تمتلك ميزة أفضل في مواجهة أي تهديد، خصوصًا من الجنوب، قد يهدِّد الولايات المتحدة [١٤].

لقد ربطت روسيا بين مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي ومبادرة الدفاع الاستراتيجي للرئيس رونالد ريغان عام ١٩٨٣ بوصفها استراتيجيات للهيمنة الأمريكية، وقال وزير الخارجية الروسي آنذاك سيرغي لافروف بأن هذه الفكرة مرفوضة وغير مقبولة سواء من الجانب الروسي، ومن قبل الكثير من الدول الأوربية، فليس من المقبول لأي أحد أن يستخدم القارة بوصفها أرضه الخاصة، فأي مشروع فردي للصواريخ المضادة سوف يغير بشكلٍ أساسي الصورة الاستراتيجية للقارة. وفي بداية عام ٢٠٠٧ أصدر فلاديمير بوتين مرسوماً يعلق فيه تطبيق روسيا لمعاهدة القوات التقليدية الموقعة بين الجانبين عام ١٩٩٠ والتي نصت على إنهاء سباق التسلح وتحقيق الأمن والاستقرار الأوربي [١٥].

وما أن بدأت المفاوضات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبولندا والتشيك حتى أعلنت موسكو رفضها القاطع لهذه الخطوة الأمريكية، بوصفها تشكل تهديداً لمصالحها الحيوية وتستهدف قدراتها الاستراتيجية، وهددت موسكو بنشر صواريخ نووية قصيرة المدى على حدودها مع حلف الناتو في حال لم تتراجع واشنطن [١٦]، كما هددت بتوجيه صواريخها النووية إلى وسط أوربا إذا قامت الولايات المتحدة الأمريكية بنشر درعها الصاروخي [١٧]. كذلك صرَّح الرئيس الروسي ميدفديف بأن روسيا ستقوم ببناء دروع صاروخية دفاعية، وأنها وضعت قواتها في حالة جهوز دائم [١٨]. وعندما تم توقيع الاتفاقية بين الولايات المتحدة وبولندا هددت موسكو على

الفور بتوجيه صواريخها نحو القاعدة البولندية التي ستأوي الدفاعات الامريكية، فضلاً عن التهديد بوقف إمدادات الغاز الطبيعي عن بولندا، وقال الكرملن إن الخطوة الامريكية_البولندية المشتركة سوف تخل بالتوازنات الأمنية الإقليمية وقد تستخدم ضد التوازن الاقليمي الحالي [١٩]. وعندما تم التوقيع على الاتفاقية ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والتشيك نقلت وسائل الاعلام الروسية عن مصدر في وزارة الخارجية الروسية قوله إن هذا الاتفاق يضفي تعقيدات على أمن أوروبا ويلغي المشاورات مع موسكو بخصوص الدرع، ونقلت وكالة انترفاكس للأنباء عن مصدر رفيع في وزارة الخارجية قوله " لقد اتخذت خطوة... لم تضف من وجهة نظرنا للأمن في القارة الاوروبية بل عقدت مشاكل الأمن، كما نقلت الوكالة عن مصدر في وزارة الخارجية قوله إن الاتفاق الامريكي مع جمهورية التشيك بشأن وضع بعض مكونات الدرع الصاروخية في الاراضي التشيكية " يلغي فعليا " الاتفاق بين موسكو وواشنطن على التشاور بخصوص المنظومة الدفاعية[٢٠] .

استمرت حالة الجمود ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وبقيت واشنطن مصرة على تنفيذ برنامج الدرع الصاروخي حتى انتهاء فترة إدارة بوش الابن ومجيء إدارة أوباما (٢٠٠٩ – ٢٠١٧)، لقد تبنت إدارة أوباما فلسفة واستراتيجية جديدة ومغايرة في التعامل مع الشأن الدولي، إذ سعت إلى إدارة السياسة الخارجية الأمريكية بعيداً عن فلسفة القوة الخشنة والتفرد بالقرار الدولي وتهميش الحلفاء وفرض الهيمنة الأمريكية، وحاولت بدلاً من ذلك التقليل من الأعباء الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وإصلاح الضرر الكبير الذي لحق بعلاقات واشنطن مع حلفائها وأصدقائها، والتخفيف من حدة التوترات العالمية، والركون إلى الطرق الدبلوماسية والوسائل السلمية لحل الخلافات والمشاكل الدولية.

في ضوء هذا التوجه لإدارة أوباما كان لا بد أن تتم معالجة الكثير من ملفات السياسة الخارجية بطريقة مغايرة، وكان ملف الدرع الصاروخي واحداً من أهم تلك

الملفات، تخلى عن خطط إدارة بوش وأعلن المقاربة الجديدة لتطبيق خطة الدرع الصاروخية مع إمكانية تعديلها على مراحل، رابطا تخفيض واشنطن مستوى تلك الخطط بإحراز تقدم على مسار تسوية القضية النووية الإيرانية. وبدلا من بولندا والتشيك، اختارت واشنطن رومانيا كمكان لنشر عناصر الدرع الصاروخية، فضلا عن نشر صواريخ اعتراض على متن سفن مرابطة في البحر الأسود، بوصفه إجراء كفيلا باعتراض الصواريخ البالستية متوسطة المدى. وتم نشر تلك الصواريخ في البحر الأسود في سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠٩، وفي عام ٢٠١٠ وافقت رومانيا على استضافة صواريخ "SM-3" الأمريكية في أراضيها بدءا من عام ٢٠١٥ (٢١).

وهكذا أوقف الرئيس أوباما خطط سلفه جورج بوش بشأن إقامة درع صاروخي في شرق أوروبا، فقد أبلغ أوباما الحكومة التشيكية في مكالمة هاتفية بأن الولايات المتحدة ستتوقف عن بناء نظام رادار للدرع الصاروخي في الأراضي التشيكية. كما تم إبلاغ الحكومة البولندية بأمر التخلي عن هذا المشروع الذي تنتقده روسيا بشكل كبير (٢٢).

Regional Studies Journal, Vol.14, No.45, 2020 (79-98)
Print ISSN: 1813-4610 *Online ISSN*: 2664-2948

خاتمة واستنتاجات:

تناول البحث الدرع الصاروخي الامريكي بوصفه استراتيجية تبنتها الولايات المتحدة في عهد عدد من الإدارات الجمهورية كإدارة رونالد ريغان وجورج بوش الابن في شرق أوروبا كوسيلة للتصدي للسياسات الروسية في تلك المنطقة. وتطرق البحث إلى تأثير هذه الاستراتيجية على العلاقات الأمريكية–الروسية. ويمكن الإشارة إلى أبرز الاستنتاجات كما يأتي:

١ – كانت البداية الحقيقة لمشروع الدرع الصاروخي مرتبطة ببدايات الحرب الباردة وانقسام العالم إلى قطبين متنافسين يعيشان على حافة الحرب، كما ارتبط بالتطور الكبير الذي شهده ميدان صناعة الصواريخ الباليستية وتطور وسائل إيصالها إلى أراضي العدو.

٢ – شهدت فترة إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان تصعيدا كبيرا فيما يتعلق ببرامج الدفاع الصاروخي من خلال المبادرة التي أطلقها وهي مبادرة الدفاع الاستراتيجي والتي عرفت بـ " حرب النجوم " إذ نقلت فكرة الدروع الصاروخية إلى آفاق جديدة ومديات أكثر بعداً وتعقيداً.

٣ – عندما وصلت إدارة جورج بوش الابن إلى الحكم عام ٢٠٠١ لم يكن على جدول أعمالها سوى فكرة واحدة وهي فكرة الهيمنة العالمية المطلقة بدون منافس وبدون منازع، والعمل على تسخير وتوظيف كل قدرات الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تحقيق هذا الهدف.

٤ – لذلك كان من الطبيعي أن تولي هذه الإدارة أهمية خاصة ببرامج ومشاريع الدروع الصاروخية بوصفها من أنجع وأهم الوسائل التي تمكنها من حماية الأراضي والمصالح الأمريكية من جهة، وتعطيها حرية أكبر في مهاجمة وضرب من ترى فيهم أعداء لمشروع الهيمنة والتسلط العالمي.

٥ – لقد سعت تلك الإدارة من أجل نشر درعها الصاروخي في عدد من دول أوربا الشرقية القريبة من الحدود الروسية، ودخلت في مفاوضات معها تمكنت في نهايتها من التوصل إلى اتفاقيات تسمح لها بنشر أجزاء من درعها على أراضي تلك الدول.

٦ – كانت الذريعة الأساسية التي تذرعت بها واشنطن لنشر درعها الصاروخي متمثلة بالتصدي للدول التي تسميها " الدول المارقة " مثل إيران وكوريا الشمالية، لكن مثل هذه الحجج لم تقنع موسكو التي رأت في الخطوات الأمريكية تهديداً لا يمكن السكوت عليه.

٧ – اتبعت روسيا عدة خطوات ووسائل للتصدي لمشروع الدرع الصاروخي، إذ حاولت الضغط على الدول المستضيفة مثل بولندا والتشيك وتهديدها بشكلٍ واضح لإجبارها على رفض المطالب الأمريكية، كما أعلنت أن التصرفات الأمريكية غير المسؤولة قد تتسبب في العودة إلى سباق التسلح المحموم الذي قد تترتب عليه نتائج كارثية.

٨ – لم يهدأ الاندفاع الأمريكي إلا بعد انتهاء فترة إدارة بوش الابن عام ٢٠٠٨، ومجيء إدارة أوباما الديمقراطية ذات الفكر والتوجه المغاير والتي تخلت عن خطط واشنطن المتعلقة بنشر وتشغيل الدرع الصاروخي في شرق أوربا.

Regional Studies Journal, Vol.14, No.45, 2020 (79-98)
Print ISSN: 1813-4610 *Online ISSN*: 2664-2948

المصادر والهوامش

(١) طارق محمد ذنون الطائي : العلاقات الأميركية الروسية بعد الحرب الباردة، (بغداد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية : ٢٠١٢)، ص ١٥٧ – ١٥٨

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٨ .

(٣) درع الدفاع الصاروخي المضاد للصواريخ وتطور الاستراتيجيات وظهور الأزمات . متاح على الرابط الإلكتروني :

http://www.albasalh.com/vb/showthread.php?t=549

(٤) كارلهاينتس دشنر : المولوخ : إله الشر، تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة : محمد حديد، الطبعة الثانية، (دمشق : ٢٠٠٤)، ص ٥١٨ .

(٥) سفيتلوف، الكسيف : الروح العسكرية الأمريكية، آلة الحرب، الأحلاف، القواعد وأعمال العدوان الطبعة الأولى، ترجمة : محمود شفيق شعبان، (د . م . : ١٩٨٨)، ص ٤٧ .

(6) William J. Broad, "Cold Fusion Patents Sought" , *New York Times* , 14 April 1989:
https://www.nytimes.com/1989/04/13/us/cold-fusion-patents-sought.html

(٧) للاستزادة راجع : أود آرن وستاد ، الحرب الباردة الكونية، ترجمة : مي مقلد، (القاهرة، المركز القومي للترجمة : ٢٠١٤)، ٦٠٣ – ٦٦٣ .

- ظهر مصطلح الدول المارقة لأول مرة في الثمانينيات من القرن الماضي وذلك عندما استخدمه الرئيس الأمريكي رونالد ريغان لوصف نظام الرئيس الليبي السابق معمر القذافي، وفي عهد الرئيس كلينتون تم إطلاقه على عدد من الدول المناهضة للسياسة الأميكية مثل العراق وايران وكوريا الشمالية .

(٨) محمود محمد الكركي ، العلاقات الأمريكية الروسية في عهدي الرئيسين فلاديمير بوتين وجورج بوش، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، (الأردن : ٢٠٠٩)، ص ٤٣ .

(9) "President Discusses National Missile Defense" Bush's remarks , *The White House,* December 13 , 2001: https://georgewbush-whitehouse.archives.gov/news/releases/2001/12/20011213-4.html

(١٠) "الدرع الصاروخي الأمريكي في أوربا.. استئناف لحرب باردة جديدة"، الحوار، ٢٠٠٨/٨/٢٤، متاح على الرابط :

https://www.djazairess.com/elhiwar/3235

(١١) آدم ايستون، "اتفاق أمريكي بولندي ينعكس جمودا بين وارسو وموسكو"، ٢٠٠٨/٨/١٥. متاح على الرابط :
http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/world_news/newsid_7562000/7562850.stm

(١٢) شيماء تركان صالح : السياسة الخارجية الروسية حيال القضايا الدولة، الانتشار النووي إنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة النهرين كلية العلوم السياسية، ٢٠١٢، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٣٩ .

(١٤) أحمد علو، "بين الانتشار النووي والردع الصاروخي: العالم على رأس صاروخ"، مجلة الدفاع الوطني، بيروت، العدد ٧١، كانون الثاني ٢٠١٠، ص ٢١ – ٢٢ .

(١٥) الكركي، المصدر السابق، ص ٤٥ .

(١٦) "الكرملين: سنرد حال نشر أوكرانيا صواريخ أمريكية على أراضيها"، شبكة روسيا اليوم، ٢٠١٥/٥/٢٠ . متاح على الرابط :
https://arabic.rt.com/news/783496/موسكو-أوكرانيا-صواريخ-أمريكية

(١٧) "امريكا وجمهورية التشيك توقعان اتفاقا بشأن الدرع الصاروخية"، صحيفة الايام الإلكترونية، ٢٠٠٨/٧/٩ . متاح على الرابط :
https://www.alayyam.info/news/3FIQAYO0-TY5XNC

(١٨) علو، المصدر السابق، ص ٢٢ .

(١٩) ايستون، المصدر السابق .

(٢٠) "أمريكا وجمهورية التشيك توقعان اتفاقا بشأن الدرع الصاروخية"، المصدر السابق.

(٢١) "الكرملين: سنرد حال نشر أوكرانيا صواريخ أمريكية على أراضيها"، المصدر السابق.

(٢٢) "أوباما يوقف الدرع الصاروخي بأوروبا"، الجزيرة نت، ٢٠٠٩/٩/١٧. متاح على الرابط :
https://www.aljazeera.net/news/international/2009/9/17/أوباما-يوقف-الدرع-الصاروخي-بأوروبا